إنّ جلّ الأخبار عن الحياة الاجتماعية لمدينة الجزائر عند رجالها كما عند نسائها، قد شغلت الكثيرين من الباحثين الاجتماعيين و أدباء التراث الشعبي، و دفعت بهم البحث في أغوارها، فألفت في ذلك كتب و مقالات عديدة، لكن ما ألف في شأن الكلام الذي يدخل في الإطار الاجتماعي، لم ينل حظا وافرا من البحث و بالخصوص لدى نساء المدينة، فمن منا جلس مع إحداهن(1) و لم يلاحظ ما لكلامها من مميزات خاصة لا نلحظها في كلام غيرها من نساء المدن الأخرى.

في حقيقة الأمر، إنّ ما ألّف عن لهجة مدينة الجزائر قبل الستينات كان قليلا جدا، وكان لا يتعدى تدوينا لبعض النصوص(2) المنطوقة المدوّنة بالكتابة الصوتية العالمية لكلام بعض أهالي العاصمة، ولم تكن هذه الأخيرة محلّلة تحليلا لغويا على مستوى الصوت أو المفردة أو التركيب أو حتى المعجم، تحليلا يحدد معالم وخصائص هذه اللهجة عن باقي اللهجات الجزائرية الأخرى.

إنّ النّصوص الّتي نسخت أو سجّلت للهجة المدينة في فترات سابقة، وإن لم تحدَّد سماتها الخاصّة، إلاّ أنّها تبرز لنا الوضع اللغوي آنذاك وتساعد على بيان مدى تطوّره، إذا ما قارنّاه بالوضع اللغويّ الحاليّ. ورغم أنّ تحديد سمات و مميّزات لهجة مدينة الجزائر أمر صعب للغاية في الفترة الحاليّة إلاّ أنّه غير مستحيل، إذا اعتمدنا على أخذ النّصوص لتحليلها من فئة اجتماعية معيّنة، و بالفعل كان الكلام المجموع المؤلّف للمدوّنة من أجل تحليلها مستقى من فئة اجتماعية معيّنة، حيث اخترت فئة النساء المسنّات بالأخص، لأنّهن أكثر من تكون لهجته بعيدة عن التأثيرات اللّهجية الأخرى، خاصة أن أغلبهن غير مثقفات أو ذوات مستوى علميّ بسيط جدا، ممّا يجعل تأثيرهن بلغات أخرى غير محتمل، أضف إلى ذلك، و مقارنة إياهن بالرّجال فإنّهن أكثر حفاظا على اللغة من الرجال بحكم أنّهن ماكثات بالبيت غالب الأحيان و بمعزل عن التأثيرات الخارجيّة.

لقد تضمّنت المدوّنة مجموعة من النصوص المنطوقة، جمعتها من أفواه نساء المدينة و خلصت بعد تحليلها إلى تحديد أهمّ سمات لهجة مدينة الجزائر عند النسوة على المستوى الصوتي(*) والصرفي.

المستوى الصوتي:

تتلفظ نساء مدينة الجزائر بـ 28 صامتا فصيحا و غير فصيح، فقد فقدن نطقهن للحروف: الثاء و الذال و الضاد و الظاء واستبدلنها على الترتيب بـ التاء و الدال و الدال المفخمة و الطاء. إنّ أهمّ مميزات نطق هذه الأصوات تحديدا هو نطق التاء، **فالتاء** في العربية الفصيحة و التي هي في العاميات العربية الخلط بينها و بين الثاء واقع كثيرا، هي شبيهة بالصوت (T) اللاتيني، هي صوت شديد أسنانيّ مهموس3 و صوت التاء في اللهجة لا يتعرّض لأيّ تغيير دون تفسير صوتيّ، إلاّ أنّه في لهجة مدينة الجزائر له ميزة خاصة تتمثل في أنّه قد يكون شديدا و رخوا في آن واحد، حيث يصحب النطق به احتكاك قويّ و خروج النفس بين الثنايا، يحوّله إلى صوت فيه صفير أي تاء مليّنة ذات زائدة سينية (نسبية) (رخوة) (4)

الملاحظ أنّ هذه الخاصية أو الميزة بدأت تختفي تدريجيا، فقد سمعت من بعض المخبرات تاءا شديدة مهموسة تارة و تاءا شديدة رخوة بزائدة سينية تارة أخرى، ويعتبر هذا الأمر تطورا محسوسا بالنسبة لهذا الصوت، خاصة إذا علمنا أنّه سابقا و بصفاته المذكورة آنفا، كان من أهم ما يميّز لهجة مدينة الجزائر(5). نذكر على سبيل المثال الألفاظ الآتية: كَانَتْ — اَشْتَا(اء) — مَتْعَاوْنِينْ — اَنْتَاحَا — قَالَتْ لِ(ي).

الثاء: صوت أسناني رخو مهموس(6) تطور هذا الصوت تقريبا في جميع اللهجات العربية الحديثة إلى صوت التاء، إلاّ أنّنا لازلنا نجده في بعض المناطق الجزائرية مثل منطقة البليدة و قالمة ومعظم مناطق الهضاب العليا(7) وهذا ينفي ما جاء عن بعض اللغويين المحدثين من أنه حرف لم يعد له وجود في العاميات العربية جميعها(8). ومن أمثلته في لهجة مدينة الجزائر : أَثْلاَ تَ.(ة)–

اَمْتَـثْـوَمْ– كَتْـثْـرَ(ة).

نطق الصوت الضاد ظاءا، كان و مازال أيضا مميَّزا:

فالضاد: صوت مجهور أسناني مفخم (9) و هو كما وصف قديما (10) في كتب القراءات و غيرها، يخالف ذلك الذي ننطق به الآن، فهو أقل شدة و معه ينفصل العضوان المكونان للنطق انفصالا بطيئا نسبيا.

و يظهر أنّ الضاد القديمة كانت عصيّة النطق خاصة على أهالي الأقطار التي فتحها العرب المسلمون، ذلك كلّه يفسر هروب الناس من نطقها و تعويضها بأصوات أقل صعوبة في النطق، و ذلك ما حدث فعلا، فقد حوّلت إلى دال مفخمة أو طاء، فهذا جون كانتينو J. Cantineau يتحدث عن تطور صوت الضاد في منطقة المغرب العربي و يصف كيف أنّه اضمحلّ و عوّض بغيره، و أعطى عن ذلك المثال (ضرب) التي تنطق إما (اَدْضَ رَ بْ) بدال مفخمة أو (اَطْضَ رَ بْ)(11)

و تؤدّيه نساء المدينة بالتأديتين السابقتين، أي دال مفخمة أو طاء، كما في الأمثلة الآتية:

بِيطَضْ(اء) = بيضاء – اَمْرِيطَضْ (ة) = مريضة – فِ(ي) وَقْتْ اَمْدَضْ(ى) = في وقت مضى

رَمْدَضْانْ= رمضان.....

أما **الظاء** فهو صوت أسناني رخو مجهور مفخم مطبق (12) وهو الوصف نفسه الذي قدمه اللغويون القدامى(13)، و صوت الظاء تغلّب عليه صوت الدال المفخمة و أخذ مكانه في كل الكلمات التي تحتويه في لهجة مدينة الجزائر و من أمثلة ذلك.

اَدْظْلَمَ(ة) = الظلمة – اَلْحَافْدِ ظْ يِنْ = محافظين

اَيْبَظْ لْ = يظل.

القاف: القاف في لهجة مدينة الجزائر صوت شديد مهموس و ينتشر نطقه كما في الفصحى (الحديثة) في عدة مناطق من الوطن و بالخصوص المناطق الحضرية الوسطى مثل شرشال و دلس و البليدة و مليانة و التنس بمعنى آخر المدن القديمة(14)

و كثيرا ما يميّز أهالي المناطق الأخرى الداخلية من الجزائر أبناء هذه المدن الوسطى من خلال نطقهم للقاف الشديدة المهموسة.

و لعلّ النطق بالقاف أكثر كيفيات النطق دلالة على أصل الناطق كما الصوت (تاء) ذي الزائدة السينية، حيث بنيت عليهما العبارة الاصطلاحية لأبناء العاصمة الأصليين(15) وهي (هُومَ تَسْاغْ : قَاتْسْ لِ(ي) قُولْتْسْ لَكْ) ولا يعني هذا أنّ نساء المدينة لا يعرفن القاف المجهورة فهن ينطقنها خاصة في الكلمات الدخيلة (من البوادي الجزائرية) مثل: اَيْسَقّْـمْ – قْـَقْـاعْ – اَلْقْـنِيَة(ة) – مَقْـرُونَ(ة) – قْـَزّْانَ(ة) – قْـَلّْيلْ.

إنّ ارتفاع عدد الصوامت في اللهجة كان بفعل نطق أهلها بأصوات غير فصيحة و هي: القْـاف و البْـاء و الفْـاء والجْـيم في كلمات دخيلة بالخصوص.

الهمزة: صوت شديد لا هو بالمهموس ولا هو بالمجهور(16) ويرى تمام حسان (17) أنه صوت مهموس، والهمزة في اللهجة صامت نادرا ما يحقق، فالخاصية التي تغلب عليه هي أن يبدل أو يسهّل أو يحذف.

ويرى كانتينو(18) أن الهمزة تعدّ صوتا phonéme وتكاد تختفي تماما، و يرى و.مارسي w.marcais أنّ الصوت الشديد الأقصى حلقي الذي نسمعه لا يظهر إلا في الكلمات التي لازال تأثرها بالعربية الفصيحة (19) فهي إمّا تُخفَّف أو تُستبدل بنصف حركة (واو أو ياء)أو تسقط تماما (20).

وفي ما يلي عرض مفصّل للتغيّرات التي تحدث لصوت الهمزة في لهجة مدينة الجزائر من حذف و تخفيف وإبدال :

الحذف(21):

في الأسماء والصفات: ٱسْنَانْ – ٱحْمَدْ – ٱعْمَى(ى) – ٱعْرَجْ – ٱبْلِيسْ .

في الألقاب : بُورَّا صْ – بُو جَمْعَة(ة) – بَلْقَاسَمْ.

في الضمائر: ٱنْتَ – ٱنْتِ – ٱنْتُومَ .

في أسماء بعض البلدان: مَرِيكَانْ – ٱسْبَانِيَة(ة) – طَلْيَانْ.

في الألوان : ٱزْرَقْ – ٱبْيَضْ – ٱكْحَلْ – ٱصْفَر – ٱحْمَرْ.

في الأفعال: ٱكْلَ – ٱدْنْ – ٱخْدَاوْ – ٱدّ.

في أسماء التفضيل: ٱكْتَرْ – ٱصْغِيرْ- ٱعْلِيهْ – ٱتْقِيلْ.

هذا إذا كانت الهمزة في بداية الكلام، أما إذا جاءت متطرفة، فإنها تحذف مطلقا ويحذف المصوّت الطويل قبلها إذا وجد، ومن أمثلة ذلك:

ٱسْمَ(اء) – ٱتْسَ(اء) – لَهْنَ(اء) – ٱمْرَ(أة) – حَمْرَ(اء) .

أما إذا جاءت في وسط الكلمة فإنها تخفف ولا تحذف.

التخفيف: تخفف الهمزة الوسطية، عندما تكون ساكنة وقبلها فتحة في مثل:بْرَاصْ –كَاسْ – فَاسْ – فَارْ – رَايْ – يَاكُلْ – يَاخُذْ.

وعندما تكون ساكنة وقبلها ضمة ، في مثل: مُومَنْ – مُودِ(ي).

وعندما تكون ساكنة وقبلها كسرة، في مثل: بِيرْ – جِيتْ– دِيبْ – فِيرَانْ.

وهناك ظاهرة أخرى تطرأ على الهمزة، حيث تحذف ويلقى مصوّتها على الصامت الذي الذي قبلها(22)

في مثل: لَرْبِضْ – لَمَاذَ (ة) (23)– لَتْنِينْ – لَرْبَعَ(اء) – لَوَّلْ – لُولَادْ – لِسْتِقْلَالْ – لَحْدْ – لَفْعَ(ى).

وفي هذا يقول سيبويه:" واعلم أنّ كلّ همزة متحرّكة كان قبلها حرف ساكن فأردت أن تخفّف، حذفتها وألقيت حركتها على الساكن الذي قبلها"(24) .

الإبدال:

– تقلب الهمزة الأصلية واوا في أوّل الكلمة المتكوّنة من مقطعين ثانيهما مقطع مغلق مثل:

وَالَفْ – وَاكَلْ – مَاخَذْ – اتْاوَبْ – وَاسْمِنْ(ي) – وِينْ – وَاشْ، بدل: أَلِفَ – آكِلٌ – آخِذٌ – تَثَاءَبَ – إِسْمِي – أَيْنَ – أَيُّ شَيْءٍ.

– كما تقلب إذا كانت وسط الكلمة، أو كانت مضمومة أو كان ما قبلها مضموما، وذلك قليل في الاستعمال مثل:

أفْوَادِ(ي) – اسْوَالْ وهي من فؤاد وسؤال.

– وتقلب الهمزة الأصلية ياءا إذا كانت مكسورة بعد فتحة طويلة(25)، مثل:اَدْرَايَرْ –كَايَنْ – خَايَنْ – بْيَضْايَعْ – سَرْايَعْ – اعْجَايَزْ – احْوَايَجْ – مِيدَ(ة)(26).

– أو إذا كانت مفتوحة بعد فتحة طويلة مثل : اعْبَايَة(ة) بدل عباءة واقْرَايَة(ة) بدل قراءة وامْرَايَة(ة)

بدل مرآة .

–أو إذا كانت مسبوقة بكسرة مثل: رِيَّة(ة) بدل رئة.

وتحقّق الهمزة في لهجة مدينة الجزائر في مواضع قليلة نذكر منها الأمثلة: إِيهْ – أَمَانَة(ة) – أَنَا(ا) –إِلَ – إِدَا(ا) – الآلِي.

الصوامت المفخمة: من مميّزات لهجة مدينة الجزائر، أنّ بعضا من صوامتها قد يفخّم لأسباب ذات طبيعة صوتية صرفية أو طبيعة نفسية محضة(27)نستثني من ذلك الصوامت المطبقة: الضاد والصاد والظاء والطاء التي هي بطبيعتها مفخمة في العربية الفصيحة واللّهجة.

البراء: عند النطق بالراء المفخّمة يقترب الذولق من المنطقة الخلفية لسقف الفم، ويكون اقترابه منه أكثر من اقتراب الذولق في الراء المرققة، كما تكون ضربات اللسان في الراء المفخمة أكثر عددا من ضربات الراء المرققة (28) و يكون هناك ضغط عام على أعضاء النطق و بالخصوص المنطقة الحنجرية.

و من الأمثلة التي يمكن أن أوضح بها ذلك مايلي:اَلْبَرُّوجْ – بَرَّاصْ – بَرِيصَانْ – اَلْبَرْبِينْ – بَرَّاجَلْ – خَطْبَرَّة(ة) – مَبَرَّة(ة)

و قد أصبحت البراء المفخمة تؤدي وظيفة في الكلمة كصامت له صفات و خصائص صوتية ينفرد بها و ليس تنوعا لصامت الراء المرقق، فأنت تلاحظ جليّا الفرق المعنوي بين الكلمتين: دَارْ و دَارْ فالأولى تستعمل كاسم و فعل و الثانية كفعل فقط ومعنى الأولى كاسم هو: "المحل يجمع البناء و العرصة" (29) و أما معناها و هي فعل من دار يدور دورانا أي طاف حول الشئ و عاد إلى الموضع الذي ابتدأ منه (30). أما دار فتستعمل بمعنى فَعَلَ أو عَمِلَ في العامية.

أضف لهذا المثال الكلمتين: اَبْرُدْ و اَبْرَدْ، فالأولى من برد يبرد أي أحسّ بالبرد(31)، الذي هو عكس الحر، و الثانية من برد الحديد بالمبرد و نحوه من الجواهر أي سحله(32) و يعرف معنى الكلمتين في الفصيح من خلال السياق الذي ترد فيه، أمّا في اللهجة فنستطيع أن نفرّق بينهما من خلال الترقيق و التفخيم في الراء، و ينطبق الأمر على الكلمتين رَابْ و بَرَّابْ (33).

و تعتبر الأسباب المؤدية إلى تفخيم الراء في مثل هذه الحالات، أسبابا غامضة نفتقد فيها إلى تعليل مقنع، فلا نستطيع تفسير ظاهرة الراء المفخمة مثلا في مثل بَرَّاصْ أو بَرَّاجَلْ أو دَارْ رغم أن ترقيقها وتفخيمها محدّد في كتب القراءات، فتفخيم الراء يتم بأسباب، لأن الترقيق هو الأصل حيث تكون الراء في الأصل إمّا ساكنة أو متحرّكة، فإن كانت مكسورة فلا خلاف في ترقيقها من قبل جميع القراء، و إن كانت مضمومة فلا خلاف في تفخيمها من قبلهم باستثناء (ورش) الذي له في ذلك أحكام، و كذلك إذا كانت مفتوحة فلا خلاف في تفخيمها عند الجميع، إلاّ من أمال منها شيئا، و لورش فيها كذلك مذاهب(34).

تبقى للبراء المفخمة –على كل حال– في اللهجة أهمية خاصة، نظرا للوظيفة التي أصبحت تقوم بها وهي تكوين عدد معتبر من الألفاظ المجانسة لألفاظ أخرى تحتوي راءات مرققة.

اللام: يتم النطق بها بتأخير الذولق نحو الخلف أكثر من اللام المرققة و ذلك مع بعض التضييق في الحنجرة دون حبس مع ضغط على أعضاء النطق(35).

و تفخم اللام لأسباب نفسية أكثر منها صوتية صرفية و من أمثلتها: اَللِّيَّهْ – اَشْلِّيَادَة(ة).

الباء و الجيم و الفاء: تفخم هذه الصوامت فيحدث فيها حبس حنجري و تفخم هي الأخرى لأسباب صوتية (الجوار الصوتي) أو لأسباب نفسية أو لأنها وردت في كلمات دخيلة.

من أمثلتها: اَجْمَالِيهَا – اَلْبَارَ(ه) – صَفْبَايَ(ة) – بَابُوْر – بَالِي – اَلْضَمْن.

الكاف: نلاحظ في جهاز النطق أثناء خروج الكاف المفخمة تجمع اللسان في منطقة أقصى الحنك الأمر الذي يستوجب تكويرا أو تدويرا إلى الوراء طابعا الكاف المفخمة أكثر من المرققة.

و يقدر اتساع فتحة الحنجرة بثلاثة سنتمترات في المفخمة و بثلاثة سنتمترات و نصف في المرققة. أمام ارتفاع العظم اللامي في الكاف المفخمة فيؤكده انقباض أعضاء النطق و هو زائد من ارتفاعه في المرققة.

من أمثلة ذلك في اللهجة: رَكَّبْ و رَكْبَ، و تعني الأولى أَصْعَد أحدهم على ظهر حيوان أو غيره و تعني الثانية وصل الشيء بآخر وفق شكل معين.

يبدو أنّ الكلمتين تنحدران من أصل واحد، فالتركيب هو ضم الشئ بعضه فوق بعض، ركّب أحدهم على دابة: وضعه فوقها. و الكلمتان في العربية الفصيحة يعرف معناهما من السياق.

و من أمثلتها أيضا: يَتْكَرْكَبْز – بَرَاكَ(ة)

الواي: المفخمة و ينطق بها أهل المدينة و يقتصر نطقها على الكلمات الدخيلة مثل.

وَاوَشْ – وَالِي – وَزْنَاجِيَّ(ة) – هُوَ(ي)

المصوّتات:

تشبه مصوّتات لهجة مدينة الجزائر المصوّتات الفصيحة بما فيها من طول و تفخيم و ترقيق و هذه في غالب الأحيان لا وظيفة لها، أي لا تؤدي إلى تغير في معاني الكلمات.

و تحوي اللهجة على ستة مصوّتات هي:

1. الفتحة الخالصة (المرققة) قصيرة و طويلة
2. الفتحة المفخمة قصيرة و طويلة
3. الضمة الخالصة قصيرة و طويلة
4. الضمة المفخمة قصيرة و طويلة
5. الكسرة الخالصة القصيرة و الطويلة
6. الكسرة المفخمة القصيرة و الطويلة

إنّ المصوّتات المفخّمة تأتي بعد الصوامت المطبقة كـ: الصاد و الطاء و الدال المفخمة و الصوامت المفخمة في اللهجة مثل: الراء و اللام و الواي و الدال و الباء و الجيم و الفاء و الكاف.

هذا و تتعرض مواقع المصوّتات لكثير من صنوف التطور و الانحراف من بين ذلك، ظاهرة البدء بالساكن التي ميّزت العاميات العربية عامة و اللهجات الجزائرية خاصة، لأنه من المعلوم أن العربيّ الفصيح عموما يتحاشى النطق بالسكون في بداية الكلام و ذلك بالإتيان بمصوّت (هو همزة الوصل) فيقال: (اُكْتُبْ) في الأمر من (كَتَبَ). و مثال ذلك أيضا تعريبه الاسم الإغريقي Platon: أفلاطون حيث وجب الإتيان بصامت لبداية المقطع، فاختيرت الهمزة.

و نجد ذلك في كلمات كثيرة أعجمية معرّبة مثل: إقليم - إفرنج – إسفنج (36).

لكن وجب علينا أن نؤكد على شيء، و هو أن هذا السكون الذي يبدأ به، ليس خالصا بل يسبق بمصوت قصير جدا للتوصل للنطق بهذا الساكن في بداية الكلام (37).

هذا المصوت و إن كان لا يوجد في اللغة العربية الفصيحة، فإنه يوجد في بعض شقيقاتها السامية، كالسريانية و الآرامية و العبرية، ففي السريانية، تبدأ الأفعال بصوت ساكن غير ملتو بحركة مثل (كْتَفْ) أي (كَتَبَ) و يسمع النطق بهذا الفعل و أمثاله ما يشبه همزة الوصل، و في الآرامية تبدأ بعض الأفعال بصوت ساكن غير ملتو بحركة مثل: (بْكَا) و (صْرَخْ) أي (صَرَخَ) (38).

و يسمّي كانتينو(39) هذا المصوّت بمصوّت مختلس اختلاسا شديدا voyelle ultra brève و هو كما وصف، له مواقع في الكلمة منها:

1. بداية الكلمة(حين تبدأ بصامت ساكن)
2. وسط الكلمة (حين يتوالى فيها ثلاث صوامت)
3. في المقطع الأخير من الكلمة (أي بين الصامتين الساكنين الأخيرين)

و من أمثلة ذلك في لهجة مدينة الجزائر:

ٱكْبَارْ – ٱحْمَارْ – ٱخْرُجْ – ٱكْلَ-...

لكنه لا يَظْهَرُ إذا كانت الكلمة مسبوقة بكلمة أخرى منتهية بمصوت مثل: بَاعُ (وا) رْصَاصْ

و في وسط الكلمة يظهر المصوت المختلس بين الصامت الأول و الصامتين المواليين له في ثلاثة صوامت متتالية مثل ٱمْسَلْمِينْ بدل مُسْلِمِينْ.

هذا و تتماثل المصوّتات فيما بينها في الكلمة، طلبا للانسجام و السهولة في النطق، حيث يتجاور مصوّتان مختلفان، فيتجهان إلى المماثلة حيث يصبح أحدهما كالآخر أو قريبا منه، وقد يكون المصوّتان المتجاوران متماثلين، فيتجهان إلى المخالفة بسبب طبيعة الصوت المتوسط بينهما (40).

هاتان الظاهرتان لا تحدثان في جميع اللّهجات، فلهجة مدينة الجزائر تتميز عن غيرها من لهجات الجزائر باحتفاظ بعض مصوّتاتها بصفاتها الفصيحة فمصوت حرف المضارعة لا يماثل مصوّت عين الفعل المضارع (41). كما هو الشأن في بعض اللّهجات(42)، فلا يقال مثلا:

يَخْرَجْ أو يَشْرَبْ بل: يَخْرُجْ – يَشْرُبْ – يَكْتُبْ- يَصْبُرْ – يَسْعُلْ – يَقْعُدْ – يَرْقُدْ – يَاكُلْ.

كما أن همزة الوصل في فعل أمر هذه الأفعال تبقى على أصلها مضمومة، كعين الفعل: أُكْتُبْ، أُخْرُجْ، اُقْعُدْ، اُصْبُرْ،اُرْقُدْ

لكن قد يحدث تماثل بين عين الفعل الثلاثي المفتوحة و همزة الوصل في الأمر، فتفتح عوض أن تكسر، انظر قولهم:

اَلْبَسْ – اَرْكَبْ – اَبْعَثْ – اَسْمَعْ

و هذا يجرني للحديث عن ظاهرة تميّز اللّهجة العاصمية و هي احتفاظها بالضمة في بداية الكلمات مثل:

خُبْزْ – سُكُّرْ – عُرْسْ – فُلْفُلْ – كُرْسِ(ي) – حُمُّصْ

وهكذا يبدو أنّ إيثار نسوة المدينة لمصوّت الضمة و احتفاظهن به في مواقعه الأصلية في كثير من الألفاظ، جعلهن يتمادين في استعماله في غير مواقعه كقولهن:

اَسْرُقْ – اَخْرُجْ – اَزُقُّدْ من الفعل الماضي سَرِقَ وخَرَجَ ورَقَدَ.

المستوى الصرفي :

إن أهم ما يميّز لهجة المدينة على هذا المستوى، هو ظاهرة التصغير(43) فالناطقات باللهجة يكثرن من استعماله بمناسبة أو دونها. و لعلّ ذلك راجع بالأخص إلى عامل نفسي خاصة فيما يتعلق بالنسوة، كونهن رقيقات رهيفات الحسّ و يعتبرن الكلام من أهمّ الأمور التي تبرز حسن معاملتهن و لباقتهن و أنوثتهن(44) فتراهن يملن إلى التصغير في الألفاظ كون الشيء الصغير دائما جميل و بسيط و محبوب و يسرّ النفوس. و لأنّهن يكثرن منه فإنّه يأتي على أوزان كثيرة نذكرها:

***الوزن: أَفْعَيَّلْ الذي مؤنثه أَفْعِيلَة(ة):**

اَوْلِيَّدْ – اَصْبِيَّعْ – اَفْوَيَّمْ – اَعْرَيَّسْ – اَقْدِيرَة(ة) – اَطْفِيلَة(ة) – اَكْلِيبَة(ة) – اَشْمِيسَة(ة) – اَجْنِينَة(ة) – اَبْصِيلَة(ة) – اَشْبِيكَة(ة) – اَشْبِيبَة(ة) – اَلْحِيمَة(ة) – اَطْبِيَّفْ – اَسْنِيوَة(ة) – اَكْبَيَّشْ – اَفْوَيَّطْ – اَحْوَيَّطْ – اَحْوَيَّكْ

***الوزن: أَفْوِيعَلْ الذي مؤنثه أَفْوِيعْلَة(ة):**

اَكْوِيرَّطْ – اَبْوِيطَّة(ة)(45)– اَبْوِيبْطَّة(ة)(46) – اَبْوِيبَّرْ – اَشْوِيرَبْ – اَبْوِيجَلْ – اَخْوِيتَمْ – اَخْوِيتَمَة(ة) – اَخْوِيمْسَة(ة) – اَخْوِينْتَة(ة) – اَزْوِيبَّة(ة) –

***الوزن: أَفْوِيعَة(ة):**

اَمْوِيهَة(ة) – اَخْوِيجَة(ة) – اَبْوِيطَّة(ة)(47)– اَبْوِيتَة(ة) – اَتْوِيقَة(ة) – اَبْوِيرَة(ة)(48) – اَعْوِينَة(ة).

***الوزن: اَفْعِيعَلْ الذي مؤنثه اَفْعِيعْلَة(ة):**

اَحْمِيمِّرْ – اَكْحِيحْلَة(ة) – اَصْمِيمِّرْ – اَشْطِيطْحَة(ة)(49) – اَسْمِيمَنْ – اَعْصِيصْبَة(ة).

***الوزن: أَفْعِيلَلْ الذي مؤنثه أَفْعِيلْلَة(ة):**

اَفْنِيجَلْ – اَسْنِيدَقْ – اَزْعِيتْرَة(ة) – اَطْنِيجْرَة(ة) – اَسْنِيتْرَة(ة) – اَدْرِيبْكَة(ة).

***الوزن: أَفْعِيوَلْ الذي مؤنثه أَفْعِيوْلَة(ة):**

اَصْغِيوَرْ– اَصْغِيوْرَة(ة) – اَقْصِيوَرْ – اَقْصِيوْرَة(ة)– اَرْقِيوَقْ – اَرْقِيوْقَة(ة) – اَعْجِيوْزَة(ة) – اَشْكِيوْرَة(ة) –اَطْبِيوْقَة(ة).

الوزن:اَمْفِيعْلَة(ة):

اَمْحِيرَة(ة) – اَمْحِيرْقَة(ة) – اَمْفِيتْحَة(ة) – اَمْثِيقْيَة(ة) – اَمْغِيرْفَة(ة) – اَمْصِيرْفَة(ة) – اَمْسِيسْكَة(ة).

أضف إلى هذه الصيغ، صيغة تصغّر بها النسوة أسماء الأعلام وهي على وزن: **فَعُّولْ**، في مثل:

قَدُّورْ – فَطُّومَة(ة) – سَعُّودْ – عَبُّودْ.

و تصغر في اللهجة أيضا، المبهمات كما في الفصحى(50) ومثال ذلك قولهن: هَدَّايَ وهَدِّ يَّ وتأثرت بذلك بعض الضمائر في قولهن: أَنَايَ وانْتَايَ و اَنْتِيَّ واَنْتِينَ.

و في رأيي(51) أنّ هذه الياء زيدت للتصغير، لأنّ ذلك وقع بفعل المشابهة والقياس مع الأسماء الموصولة والإشارات(المبهمات) التي تصغر كما سبق الذكر في الفصحى وهي :هذيّا وهاتيّا وذيّاك وتيّاك و الذيّا والتيّا(52).

وتجمع نسوة مدينة الجزائر التصغير في جميع الأسماء، جمعا مؤنثا سالما فهن يقلن:اَحْبِيبَاتْ – اَوْلِيدَاتْ – اَفْوِيطَّاتْ – اَدْرِيرْيَاتْ – لَكْعِيكْعَاتْ – اَحْجِيوْرَاتْ – اَصْوِيبْعَاتْ – اَلْوِيحَاتْ.

ودائما على المستوى الإفرادي لاحظت ظاهرة هي أيضا من خصائص اللهجة وتتمثل في اللاحقة "تِيكْ" فالنساء غالبا ما يلحقنها ببعض الإشاريات لتعيين البعيد فيقلن مثلا : تَسْمَتْسِيكْ والْهِيهَاتِسِيكْ.

لكنّهن يعدلن عن هذا المعنى في الألفاظ مثل: ثَمَاعِتِسِيكْ –دُوقَاتِسِيكْ و دُزَّكَتِسِيكْ – ثَمَانَاتِسِيكْ – دِيكْ سَّاعِيتِسِيكْ – امَّالَتِسِيكْ، وهي ألفاظ لم أجد لها أيّ تفسير لغوي.

إنّ لهجة مدينة الجزائر لها خصائصها ومعالمها التي تفرقها عن باقي اللهجات، فرغم اقتصاري على مدوّنة تمثلها نسوة عاصميات الأصل إلاّ أنّني أرى أنّ هذه الفئة من المجتمع يمكن أن تمثّل باقي الفئات الاجتماعية إلى حدّ ما، ذلك أنّني ومن خلال اطّلاعي على نصوص قديمة للهجة المدينة(مكتوبة كتابة صوتية) ومن خلال ما شهدته من الكلام اليومي لأبناء المدينة بمختلف فئاتهم، لم أجد فرقا كبيرا بينها (أي الفئات) باستثناء معجم اللّهجة الذي تطوّر بشكل كبير خاصة لدى فئة الشباب.

الهوامش:

1) أخص بالذكر هنا المرأة ذات الأصل العاصمي أبا عن جدّ.

2) تضمنت هذه النصوص ذكر لبعض الحوادث و الحكايات و الأشعار والأمثال الشعبية .

* استعنت في هذا التحليل بكتابة صوتية عربية استقيت بعض رموزها من الكتابة الصوتية العربية التي وضعها الدكتور عبد الرحمان الحاج صالح في كتابه : بحوث ودراسات في اللسانيات العربية ، موفم للنشر الجزائر2007ج/1 425 إلى 430. والبعض الآخر كان من وضعي وهي كالآتي:

صوامت اللهجة	ما يوافقها في الفصحى	صوامت اللهجة	ما يوافقها في الفصحى

ء	ء	ل- ـلـ	ل
ب- پ- ـبـ	ب	م-ـمـ	م
ت- تˢ	ت	ن	ن
تᵗ	ث	ه	ه
ج- چ - دᶾ	ج	و	و
ح	ح	ي	ي
خ	خ		
د	د		
دᵈ	ذ	**المصوتات:**	
ر- ـر	ر	الفتحة: ـَ خالصة مرققة. ـّـَ فتحة مفخمة	
ز- ـز	ز	الضمة: ـُ خالصة مرققة. ـّـُ ضمة مفخمة	
س- صˢ	س	الكسرة: ـِ خالصة مرققة. ـّـِ كسرة مفخمة	
ش- چᶾ	ش	ـّ :حركة مختلسة اختلاسا شديدا	
ص- سˢ- زˢ	ص	آ :حركة مختلسة أو همزة وصل	
دˤ- طˤ	ض	الصوامت بين القوسين في الأمثلة غير منطوقة	
دˤ	ظ		
طـ- تᵗ	ط		
ع	ع		
غ	غ		
ف- ـفـ-ـپـ	ف		
ق- قᵠ	ق		
ك-ـكـ-قᵏ	ك		

3)انظر: إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، ط4 المكتبة الأنجلو مصرية القاهرة1971 ،ص 53- وكمال بشر: علم اللغة العام (الأصوات اللغوية) دار المعارف القاهرة 1971 ،ص .129

4) J.Cantineau, Cours de phonétique arabe, G Million edition , librairie 1941.p37

5) انظر النصوص الخاصة بكلام أهل مدينة الجزائر و التي نقلها J.Cantineau بمجلة: revue Africaine 3e et la 4e trim 1937

و كذا انظر مقال لويزة موساوي بمجلة plurilinguisme UFR de linguistique, Université René Descarte, Paris 1996, du parler Algérois quelques notation p.81

6)انظر: سيبويه، الكتاب،طبعة بولاق (د.ت) ج2/ 405-406- و ابن السراج: الأصول في النحو تح: عبد الحسين الفتلي مؤسسة الرسالة للطباعة و النشر ط1 بيروت 1985 ج3/401-402- و ابن جني، سر صناعة الإعراب تح: مصطفى السقا و آخرون ط1 دار إحياء التراث القديم بيروت 1954 189./1

7)انظر: بلقاسم بلعرج، لهجة جيجل وصلتها بالعربية الفصحى، دراسة لغوية للهجة بني فتح رسالة ماجستير تحت إشراف مختار نويوات جامعة عنابة 1989 ص 27. و Ph. Marçais, le parler arabe d'uläd BRAHIM (Saida) champion, Paris 1908 p20

8) أكد ذلك تمام حسان في كتابه مناهج البحث، المكتبة الأنجلو مصرية 1955 ص .127

9)انظر: تمام حسان مناهج البحث ص 92- و كمال بشر علم اللغة العام ص 132- و إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية ص 51 و 52

10)انظر: سيبويه الكتاب ط بولاق ج2/ 405-406 –و المبرد (أبو العباس): الكامل، تح: عبد الخالق عظيمة عالم الكتب بيروت (د.ت) ج1 /195- وابن مالك: تسهيل الفوائد و تكميل المقاصد، تح وتق: محمد كامل بركات، دار الكتاب العربي القاهرة ،1967 ص 320- وابن الجزري: النشر في القراءات العشر، تص و تح: محمد علي الصباغ، دار الكتاب العربي، بيروت (د.ت) ج1 / 202.

11) J.Cantineau, Cours de phonétique arabe,p56

12) انظر:تمام حسان، مناهج البحث ص 98- و كمال بشر، علم اللغة العام ص 153- و إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية ص 49 و 50

13))انظر: سيبويه، الكتاب ط بولاق ج2/ 405 – وابن مالك: تسهيل الفوائد ص 32

14) J.Cantineau, Cours de phonétique arabe p 69

15) رغم أن نساء مدينة الجزائر لازلن ينطقن هذه القاف مهموسة إلا أننا أصبحنا نحس ببداية اضمحلالها خاصة عند الشباب و بدأت تستبدل بالقاف المجهورة [ڤ] و ذلك راجع لسبب الاختلاف و التمازج الواقع بين أبناء العاصمة و القادمين إليها من المناطق الداخلية المختلفة.

16)انظر: إبراهيم أنيس الأصوات اللغوية ص 77-و كمال بشر، علم اللغة العام (الأصوات اللغوية) ص142 و 143

17) في كتابه المناهج ص 97

18) في كتابه Cours de phonétique arabe p 84

19) في كتابه le parler arabe d'uläd Brahim Saida p 5 et 6

20) المرجع السابق ص 7 و 8 و 9

21) عموما عندما تحذف الهمزة و ذلك في بداية الكلمة (غالب الأحيان) يبقى الصامت الأول ساكنا لكن سكونه ليس خالصا فهو مسبوق بحركة مختلسة اختلاسا شديدا، رمزنا لها في الأمثلة بـ: (ٱ) للتوصل للنطق بها.

22) يتمثل هذا الصامت عموما في لام التعريف و هو لا يأخذ دائما حركة الهمزة كما في لَبْرَ(ة) = الإبرة أو لَثْـْنِينْ = الإثنين.

23) وتأتي أيضا همزتها محققة.

24) سيبويه، الكتاب بولاق 156/2

25) نجد هنا عودةً لِما كان مكروها في العربية، فالعربية تكره النطق بصامت ضعيف مع مصوت من جنسه كالواو مع الضمة و الياء مع الكسرة، هذه الكراهة تفسر لنا من الناحية الصرفية حالات كثيرة من المحافظة عند إبدال الواو و الياء همزة فقاول تصبح قائل و بايع يصبح بائع... انظر هنري فليش العربية الفصحى،تر: عبد الصبور شاهين ط1 المطبعة الكاثوليكية بيروت 1966 .ص 47

26) طرأ على هذه الكلمة تغيرات فاستبدلت الهمزة ياء أول الأمر: مايدة ثم قصِّرت الفتحة الطويلة و قلبت كسرة لموافقة الياء لأن الياء توافق الكسرة.

27)انظر: M.Cohen, le parler arabe des juifs d'Alger, H. champion publication de la societe de linguistique, Paris 1912 p. 50

28) المرجع السابق ص 53 وانظر أيضا:

Ph. Marçais, l'articulation de l'emphase dans un parler arabe Maghrébin.
extrait des annales de l'institut d'étude orientale, tome VII, édition typo litho et jules carbonel 1948 p 26

29) ابن منظور، لسان العرب، دار الحديث القاهرة، 2003: مادة (دار).

30) المرجع السابق، المادة نفسها.

31) المرجع السابق: مادة (برد).

32) المرجع السابق: المادة نفسها.

33) تعني الأولى اختيار الشيء و سقوطه و تعني الثانية تخثر الحليب انظر: مصطفى حركات، الصوتيات و الفنولوجيا، دار الآفاق الجزائر (د.ت) ص 65

34) انظر:أبو القاسم العذري البغدادي، سراج القارئ المبتدئ و تذكار المقرئ المنتهي،المكتبة الثقافية بيروت (د.ت) ص 119-120

35) M . Cohen, le parler arabe des juifs d'Alger p55

36) هنري فليش العربية الفصحى ص 43

37) عبد العزيز مطر، لهجة البدو و إقليم ساحل مريوط، دار الكتاب العربي القاهرة 1967 ص 90

38) المرجع نفسه ص 97

39) J.Cantineau, Cours de phonétique arabe p 113.114

40) عبد العزيز مطر، لهجة البدو في إقليم ساحل مريوط ص 83

41) الفعل المضارع الذي عينه ضمة.

42) لهجة جيجل و قسنطينة، و بعض اللهجات المشرقية كلهجة البدو في إقليم ساحل مريوط، انظر: عبد العزيز مطر ص 47

43) يصاغ التصغير من الأسماء و الصفات على السواء، وذلك للدلالة على التحقير أو التقليل أو التحبب ,قد يأتي على عكس ذلك كله أي للتعظيم، و المصغّر ما دلّ على التقليل فيشمل المبهمات كـ: ذيّاك، و اللّذيّا و غيرهما، و يشمل العدد كقولك عندي دريهمات و تقليل ذات المصغر بالتحقير حتى لا يتوهم عظيما نحو: كليب و رجيل ....أنظر: شرح شافية ابن الحاجب، للاستربادي، مطبعة حجازي القاهرة(د.ت) ج190/1-191

أما أوزانه فيقول الاستربادي أيضا في شرح الشافية 14/1 " إن اوزان التصغير ثلاثة فُعَيْلٌ و فُعَيْعِل و فُعَيْعِيل و يدخل في فُعَيْعِيل : دُرَيْهِم مع وزنه الحقيقي فُعَيْلِل و أُسَيْوِد هو أُفَيْعِل و مُطَيْلِق و هو مُفَيْعِل و جُوَيْرِب هو فُعَوْعِل و حُمَيِّر و هو فُعَيِّل و نحو ذلك".

44) نلاحظ أن الرجال في المقابل يستعملون التصغير لكن أقل بكثير من النساء و عليه تدخل هذه الميزة ليس فقط في إطار مميزات لهجة مدينة الجزائر بل تدخل أيضا في إطار فروق الكلام بين الرجال و النساء

45) و 46)الأولى من آبواط(ة): une boite و ابويبط(ة) من اللون بيط(ة): بيضاء

47) لاحظ أن بواط(ة) تصغر ابويط(ة) و تصغر أيضا بـ ابويبطط(ة) وأظن أنها تصغير التصغير و يبرز هذا الأمر تعلق نسوة مدينة الجزائر بهذه السمة المبرزة لأنوثتهن.

48) هي تصغير لكلمة إبرة.

49) اشطيبطح(ة): لفظة مصغرة أصلا.

50)انظر: الاستربادي، شرح الشافية 150/1- و هنري فليش العربية الفصحى ص 168

51) و ذهب أحد الباحثين إلى القول بأن أصل هذه الياء حرف نداء فأصل "أناي" حسب اعتقاده هي [أنا يا هذا] حذف فيها المنادى و بقي حرف النداء الذي جاء بعد الضمير للتقوية و جعل السامع أشد انتباها. انظر: بلقاسم بلعرج لهجة جيجل و علاقتها بالعربية الفصحى ص 215- وهنري فليش، العربية الفصحى ص 168

القيمة التعبيرية للصوت في القصة القرآنية

–دراسة أسلوبية مقارنة–

الأستاذة: خليدة بن عياد

جامعة بومرداس